الفصل الثاني

دراسة عن كتاب :(لباب التاويل في معاني التنـزيل).

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : منهج المؤلف في كتابة من خلال الجزء المحقق .

المبحث الثاني : قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الثالثً : المزايا التي تميز بها تفسير الخازن والمآخذ التي تؤخذ عليه مـــن خلال الجزء المحقق .

المبحث الأول

منهج المؤلف في كتابه من خلال الجزء المحقق

يتضح منهج الخازن في تفسيره من خلال ما ذكر في مقدمته ، وقد جعل من كتاب معالم التنزيل _للبغوي_ منتخباً له، حيث يقول: " ولما كان هذا الكتاب كما وصفت ، أحببت أن انتخب من غرر فوائده ، ودرر فوائده ، وزواهر نصوصه ، وجواهر فصوصه ، مختصراً جامعاً لمعاني التفسير ، ولباب التأويل والتعبير ؛ حاوياً لخلاصة منقولة ، متضمناً لنكته وأصوله ، مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة. وأول ما يطالعنا في تفسير الخازن مقدمته التي عقد لها فصولاً خمسة وهي :

الفصل الأول : في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه.

الفصل الثاني : في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده .

الفصل الثالث : في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف.

الفصل الرابع : في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.

الفصل الخامس : القول في: الاستعاذة.. من حيث: لفظها المختار وحكمها ووقتها ، وآراء الفقهاء فيها وأدلتهم .

وبعد هذه المقدمة التي افتتح الخازن كتابه بها ، ابتدأ تفسيره للقرآن الكريم. وهو عند تفسيره لأية سورة يبتدئ ذلك: باسم السورة ، وبيان هل هي مكية أم مدنية.؟ ثم ينتقل إلى بيان عدد آياتها وكلماتها وحروفها ، ثم يفسر الآيات..آيةً..آية ، ببيان معانيها وأحكامها[1] وسيتضح لنا

---

(١) انظر: مقدمة الخازن في تفسيره المطبوع (٣/ وما بعدها).

منهج الخازن من خلال الفقرات التي سأوردها ، والتي تتعلق بالجزء المحقق من أول سورة غافر وحتى نهاية سورة الأحقاف . وقد اشتمل منهج الخازن على ما يلي :

١- تفسير القرآن بالقرآن :

فنجد الخازن يستشهد بالآيات القرآنية في تفسيره ، ومن ذلك ما أورده عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ ﴾[١] قيل هم: حملة العرش اليوم أربعة . فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أخر ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ ﴾[٢] منه أيضاً: ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾[٣] من أن طلب الأجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز ؛ لقوله في قصة نوح وغيره من الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾[٤].

٢- تفسير القرآن بالسنة :

وهذا يبدوا واضحاً من خلال مقدمته ؛ التي لم يعتمد فيها على نقل كل ما أورده البغوي من أحاديث غير معزوة إلى مخرجيها ، وإنما استبدل بها أحاديث صحيحة ، وأخبرنا بمكان وجودها من الكتب المعتبرة ، وذلك مصداقاً لمنهجه المتبع من خلال مقدمته ، التي قال فيها: وجعلت عوض كل اسم حرفاً يُعرَف به ؛ ليهون على الطالب طلبه ، فما كان من صحيح: محمد بن اسماعيل البخاري ؛ فعلامته قبل ذكر الصحابي الراوي للحديث:(خ). وما كان من صحيح: أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ؛ فعلامته: (م) ، وما كان مما اتفقا عليه ؛ فعلامته : (ق). وما كان

---

(١) سورة غافر من الآية:(٧).

(٢) سورة الحاقة من الآية: (١٧).

(٣) سورة الشورى من الآية:(٢٣) .

(٤) سورة الشعراء من الآية (١٠٩).

من كتب السنن: أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ؛ فإني أذكر اسمه بغير علامة ، وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند له انفرد به.! قلت: روى البغوي بسنده [1] من الأمثلة على ذلك :

(أ) تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾[2]: يعني صباحاً ومساءً ، ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر ، أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه . (ق) عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :" إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة ".

(ب) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾[3]، قال : قال قوم: معنى أكبر من خلق الناس أي: أعظم من خلق الدجال ، وأورد الخازن هنا فصلاً في ذكر الأحاديث التي وردت في ذكر الدجال ، والتي بلغت ثمانية عشر حديثاً ، وهذا جزء منها :

- فصل في ذكر الدجال

(م) : عن هشام بن عروة قال: سمعت النبي ﷺ يقول:"مابين خلق آدم إلى قيام الساعة ؛ خلق أكبر من الدجال". معناه: أكبر منه فتنة وأعظم شوكة من الدجال.

(ق) عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال:" إنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة".

---

(١) انظر: مقدمة الخازن في تفسيره المطبوع (١/ ٤).

(٢) سورة غافر من الآية:(٤٦).

(٣) سورة غافر الآية (٥٧)

(ق) عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس نقب من نقابها إلا عليه ملائكة صافين .... الخ".

(ج) وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ يعني: الأرزاق ؛ نظراً لمصالح عباده وهو قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] والمعنى: أنه تعالى عالم بأحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم ؛ فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم ، يدل على ذلك ..ما روي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال:" يقول الله عز وجل: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ... الخ" .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، كما أنه في بعض المواضع يذكر شرحاً لغريب الأحاديث التي استدل بها فيقول مثلاً بعد ذكر حديث:" الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ؛ فمن نازعني في واحد منهما ؛ قذفته في النار". شرح غريب الحديث قيل: هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم ، وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب. يقولون: شعار فلان الزهد ، ولباسه التقوى ، فضرب الله عز وجل الإزار والرداء مثلاً له ؛ في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة ، فمعنى ذلك: أنهما ليستا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين ؛ مجازاً كالرحمة والكرم وغيرهما ، وشبههما بالإزار والرداء ؛ لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان؛ ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد ، فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشاركه فيهما أحد ؛ لأنهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره..والله أعلم.

---

(١) انظر: سورة الشورى من الآية: (٢٧).

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :

اهتم الخازن بتفسير الآيات مُدعِماً ذلك بأقوال السلف ، ولا تكاد تخلو آية إلا القليل منها من أقوال عدول هذه الأمة ، منسوبة إليهم وربما أورد القول دون أن يعزوه إلى أحد ، بل يكتفي بقوله: قاله المفسرون أو قال أكثر المفسرين، أو هو قول جمهور المفسرين. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

أ) عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾[1]أي: التوبة.. قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال: لا إله إلا الله. وقابل التوب ممن قال: لا إله إلا الله.

ب) عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾[2] سُئل أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة..؟ فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان ﷺ: استقاموا أخلصوا في العمل. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: أدَّوا الفرائض..؛ وهو قول ابن عباس وقيل: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه. وقيل: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله ؛ حتى لحقوا بالله. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة .

ج) عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥ ﴾[3]اختلف العلماء في من هؤلاء المسئولون ؟ فروى ابن عباس في رواية عنه لما أُسري

---

(١) سورة غافر من الآية: (٣).

(٢) سورة فصلت من الآية: (٣٠).

(٣) سورة الزخرف من الآية (٤٥).

بالنبي ﷺ بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين .. الخ. وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير ، وابن زيد قالوا: جُمِع له الرسل ليلة أسري به ، وأمر أن يسأل فلم يشك ولم يسأل ، وقال أكثر المفسرين معناه: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء عليهم السلام..هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد؟ وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل.

د) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]أي: قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم ، وأراد بهم مشركي مكة ، وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسليه للنبي ﷺ ؛ أنه وعده الانتقام منهم إما حال حياته أو بعد وفاته ، وهذا قول أكثر المفسرين ، وقيل: عني به ما يكون في أمته.

هـ) عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ هو: يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2] أي: منكم في ذلك اليوم. وهو قول: ابن مسعود وأكثر العلماء ، وفي رواية عن ابن عباس: أنه يوم القيامة.

٤- منهجه في ذكر علوم القرآن..: تطرق إلى العديد من المباحث ومنها :

أ) المكي والمدني : وقد اهتم الخازن ببيان الاختلاف – إن وجد – بين مكي السور ، والآيات ومدنيتها ، وعدد كلمات الآيات وحروفها ، وذلك في مستهل كل سورة ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

---

(١) سورة الزخرف . الآيتين:(٤١، ٤٢).

(٢) سورة الدخان الآية (١٦).

١. عند تفسيره لسورة غافر ، قال: تفسير سورة غافر ، وهي: مكية غير آيتين وهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[١] والتي بعدها ، وهي: خمس وثمانون آية ، وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة ، وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً .

٢. وفي مطلع تفسير سورة الشورى ، يقول: تفسير سورة حم عسق ، وتسمى: سورة الشورى ، وهي: مكية في قول ابن عباس والجمهور ، وحكى عن ابن عباس إلا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[٢] وقيل: فيها من المدني ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾[٣] وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[٤]، و هي: ثلاث وخمسون آية ، وثلاثمائة وستون كلمة ، وثلاثة آلاف وخمسائة وثمانية وثمانون حرفاً .

٣. وفي مطلع سورة الأحقاف ، يقول: سورة الأحقاف مكية ، وقيل غير قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم ﴾[٥]، وقيل وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٦] فإنهما نزلتا بالمدينة، وهي: أربع ...وقيل: خمس وثلاثون آية ، وستمائة وأربع وأربعون كلمة ، وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفاً.

---

(١) سورة غافر من الآية (٥٦).
(٢) سورة الشورى من الآية (٢٣).
(٣) سورة الشورى الآيتين (٢٣-٢٤).
(٤) سورة الشورى الآيتين (٣٩-٤١).
(٥) سورة الأحقاف من الآية (٤).
(٦) سورة الأحقاف من الآية (٣٥).

ب- أسباب النـــزول :

اعتنى الخازن – رحمه الله – بذكر أسباب النـــزول عناية فائقة ؛ فلا يكاد يمر بآية فيها ســـبب نزول إلا ذكره ، وأحياناً يعزوه إلى مصدره ، وأحياناً أخرى يذكره دون عزوه إلى أي مصدر مـــن المصادر ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[١](ق) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قـــال " اجتمع عند البيت ثقيفان وقرشي أو قرشيان وثقفي ، كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم، أترون الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فـــأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ ﴾....الخ.

٢. عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾[٢]قال ابن عباس: نزلت هذه الآيـــة في مجادلة عبدالله بن الزبعري مع النبي ﷺ في شأن عيسى ابن مريم عليه السلام .

٣. وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ ﴾[٣]قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية ؛ وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها ؛ فـــأنزل الله تعالى:﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ ﴾.

---

(١) سورة فصلت الآية (٢٢).

(٢) سورة الزخرف الآية (٥٧).

(٣) سورة الشورى من الآية (٢٧)

٤. عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾[١]قيل في سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبيﷺ: ألا تُكلم الله..؟ وتنظر إليه...إن كنت نبياً.! ؛ كما كلمه موسى عليه السلام، ونظر إليه..! فقال: " لم ينظر موسى إلى الله تعالى" ؛ فأنزل الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾.

٥. وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾[٢] أي: وقت إتيانها قريب وذلك: أن النبي ﷺ ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين.. فقالوا تكذيباً له: متى تكون الساعة.؟ فأنزل الله تعالى:﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ ﴾[٣]وقد يذكر الخازن في الآية الواحدة عدة أسباب ، يختار ويرجع في مواضع من بينها ، ويسكت في مواضع أخرى ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[٤] قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص. وقيل: إنها على العموم.. والأصح: أنها نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ ؛ وذلك أنه صحب النبي ﷺ ابن عشرين سنة ، في تجارة إلى الشام فنزلوا منزلاً فيه سدرة ، فقعد النبي ﷺ في ظلها ، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين ، فقال له الراهب: من الرجل الذي في ظل السدرة ؟ فقال: هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب فقال الراهب : هذا والله نبي ؟ وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا..! وهو نبي آخر الزمان.. فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق ؛ فكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر،

---

(١) سورة الشورى من الآية (٥١).

(٢) سورة الشورى من الآية (١٧).

(٣) سورة الشورى من الآية (١٨)

(٤) سورة الأحقاف من الآية: (١٥).

فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة ؛ أمره الله تعالى بنبوته واختصه برسالته ، فآمن به أبو بكر وصدقه ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل:﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾.

وما ذكره أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[1] أي: لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته ، قال ابن عباس : نزلت في عمر بن الخطاب ؛ وذلك أن رجلاً من بني غفار شتمه بمكة ، فهمّ عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية ، وأمره أن يعفوا عنه. وقيل: نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة ، كانوا في أذى شديد من قريش ، قبل أن يؤمروا بالقتال ؛ فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ؛ فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال.

ج- الناسخ والمنسوخ :

اهتم الخازن – رحمه الله – بهذا الباب ؛ فلم يغفل عن الآيات التي ورد فيها القول بالنسخ ، والسور التي نحن بصدد الحديث عنها ، هي سور الحواميم المكية سوى بعض آيات قلائل فيها ، اختُلِف في مكّيتها ، وقد ذكر النحاس[2] في كتابه الناسخ والمنسوخ ، تعليقاً على هذا بقوله: وإنما

(١) سورة الجاثية من الآية: (١٤).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، المعروف: بأبي جعفر..نحوي ومفسر وأديب وفقيه ، رحل إلى بغداد فأخذ عن: المبرد والزجاج والأخفش ونفطوية وغيرهم ، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها سنة:(٣٣٧هـ) ومن تصانيفه الكثيرة: معاني القرآن ، وأخبار الشعراء ، والناسخ والمنسوخ. انظر: معجم الأدباء(٦١٨/١) ، ومعجم المؤلفين (٢٥١/١).

نذكر ما نزل بمكة ؛ لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ ، لأن الآية إذا كانت مكية ، وكان فيها حكم ، وكان في غيرها نزل بالمدينة حكم غيره ؛ عُلِمَ أن المدنيّة نسَخت المكية[١]

ومن أمثله ما ذكره الخازن عن الآيات التي ورد القول فيها بالنسخ ما يلي :

١. قوله تعالى: ﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾[٢] قال: وهذه الآية منسوخة بآية القتال ، إذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة ، فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة .

٢. قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[٣] فقال: أنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال ، وقد يذكر الخازن القول بالنسخ مع عزوه لقائله ، وأحياناً يعلق على القول كما أورد في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾[٤] وقيل: إن هذه الآية منسوخة ؛ وذلك لأنها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية ؛ فأمرهم فيها: بمودة الرسول ، وصلة رحمه ؛ فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه ، أحب الله أن يلحقه بإخوانه من النبيين ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٥] فصارت هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ ، وإليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل ، والقول بنسخ هذه الآية: غير مرضي؛ لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين ، وهو قول السلف فلا يجوز المصير على نسخ هذه الآية .

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٢٠).

(٢) سورة الشورى من الآية:(١٥).

(٣) سورة الجاثية من الآية:(١٤).

(٤) سورة الشورى من الآية (٢٣)

(٥) سورة سبأ من الآية: (٤٧).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾[١]قال مقاتل: نسَخَتها آية السيف .

د- القراءات :

ذكر الخازن القراءات في تفسيره بقلة ، ومن الأمثلة على ذلك :

١. قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ﴾ وقُرِئَ: عند﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ ﴾[٢].

٢. قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾[٣]يعني: الكافر وحده. وقُرِئ: جاءنا على التثنية. يعني: الكافر وقرينه ، وقد جعلا في سلسلة واحدة.

٣. قوله تعالى:﴿ فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ ﴾[٤] قُرِئ:بالتاء مفتوحة على أنه خطاب للنبيﷺ. والمعنى: ما تَرى يا محمد.! إلا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد. وقُرِئ: بالياء مضمومة والمعنى: فلا يُرى إلا آثار مساكنهم ؛ لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن المعطلة.

٤. قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ ﴾[٥] قال ابن عباس: صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل.

٥. قوله تعالى:﴿ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦] أي: في تلك النعمة فاكهين. وقُرِئ: فَكِهين.. أي: أشرين بطرين.

---

(١) سورة الزخرف الآية: (٨٩).
(٢) سورة الزخرف من الآية: (١٩).
(٣) سورة الزخرف من الآية: (٣٨).
(٤) سورة الأحقاف من الآية (٢٥).
(٥) سورة غافر من الآية (٣٧)
(٦) سورة الدخان من الآية (٢٧)

٥- منهجة في تفسير آيات العقيدة :

تعرض الخازن في تفسيره للمسائل العقدية بإيجاز وترتيب ، دون الاسترسال في عرض مذاهب المتكلمين من معتزلة وغيرهم ، وهو من أهل السنة والجماعة ؛ ولكنه يؤول أحياناً في الأسماء والصفات _ كما أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن مذهبه وعقيدته – [1]؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كتب التفسير التي نقل عنها ، فنجده ينقل من كتاب البغوي:(معالم التنزيل) الذي اشتهر مؤلفه بالسلفية ،كما نقل ممن يؤولون الصفات كالإمام الرازي والزمخشري .

ومن الأمثلة على موافقته لمذهب السلف ما أورده عند قوله تعالى:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يقول: هذا يفيد الحصر. أي: لا حي إلا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يمتنع أن يموت ، امتناعاً تاماً ثابتاً ، وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة إلا هو ، والحي: هو المدرك الفعال لما يريد ، وهذه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله:﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[1]أيضاً عند قوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أي: أغضبونا وهو في حق الله تعالى إرادة العقاب وهو قوله تعالى:﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦ ﴾[2]ونلاحظ أيضاً أن المؤلف – رحمه الله – يرد على بعض الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ، مقتبساً ذلك من أقوال أهل السنة والجماعة ، ويدل على ذلك ما ذكره عقب سرده لأحاديث الدجال

---

(١) راجع ص ٢٣ –٢٤ .

(٢) سورة غافر الآية: (٦٥) .

(٢) سورة الزخرف ، الآيتين: (٥٥– ٥٦) .

بقوله:" قال الشيخ محيي الدين النووي: قال القاضي عياض: هذه الأحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده ، وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده ، فأقدر له أشياء من المقدرات من إحياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه ، وجنته وناره ، واتباع كنوز الأرض له ، وأمره السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله وفتنته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك ؛ فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء ؛ خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من: الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ، وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم ؛ في أنه صحيح الوجود ، ولكن الذي يأتي بما زعموا.! إنما خوارق وخيالات لإحقاق لها وزعموا: أنها لو كانت حقاً لضاهت معجزات الأنبياء ، وهذا غلط من جميعهم ؛ لأنه لم يدَّع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدَّعِي الربوية ، وهي في نفس دعواه مكذب لها بصورة ، حالة ووجود دلائل الحدوث فيه ونفس صورته ، وعجزه عن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ، ولهذه الدلائل لا يغتر به، إلا عوام من الناس ؛ لشدة الحاجة والفاقة في سد الرمق أو خوفاً من أذاه ؛ لأن فتنته عظيمة جداً ، تدهش به العقول ، وتحير الألباب ؛ ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته ، فأما أهل التوفيق لا يغترون به، ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ؛ ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة[1].

(١) راجع الجزء المحقق في سورة غافر .

وعند قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]. يقول :قال الواحدي: ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة ؛ لأن الله صرح بمنعه إياهم عن الهدى ، حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره .

وقد يذكر الخازن في المسألة العقدية مذهب أهل السنة والمذاهب المخالفة له ، دون أن يعلق على أي منهما ، ويدل على ذلك ما أورده عند قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[2]قال: يعني الصغائر. وهذا على قول من يجوزها على الأنبياء عليهم السلام ، وقيل: على ترك الأولى والأفضل. وقيل: على ما كان قد صدر منه قبل النبوة ، وعند من لا يجوز الصغائر على الأنبياء يقول : هذا تعبد من الله تعالى لنبيه ﷺ ليزيده درجة وليصير سن سنة لغيره من بعده.

أما بالنسبة لمذهب المؤلف في موافقته لأهل التأويل ، وتأويله لبعض الأسماء والصفات أحياناً؛ فلم يرد في الجزء الذي قمت بتحقيقه ، وهو من أول سورة غافر وحتى نهاية سورة الأحقاف.

٦– عنايته بالأحكام الفقهية وأصول الفقه :

اهتم الخازن – رحمه الله – اهتماما بالغاً بالأحكام الفقهية ، في تفسيره وأسلوبه في عرض الأحكام الفقهية سمة تميزه وقد استفاد ممن سبقه في ذلك ، فهو في معظم الأحيان يوليها عناية خاصة بإفراده لها فصولاً ، وتقسيمها إلى مسائل تعرض فيها آراء الفقهاء وأدلتهم وردودهم، وقد يذكر المسائل مسندة إلى

(١) سورة الجاثية الآية (٢٣).

(٢) سورة غافر من الآية: (٥٥).

قائليها ومن الأدلة على ذلك ؛ ما ذكره عند تفسيره بقوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

يقول الخازن بعد تفسيره لمعاني الكلمات فصلاً: وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة، وفي موضوع السجود فيها قولان للعلماء ، وهما وجهان لأصحاب الشافعي : أحدهما : أنه عند قوله تعالى:﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وهو قول ابن مسعود والحسن ، وحكاه الرافعي: عن أبي حنيفة وأحمد ؛ لأن ذكر السجدة قبله.

والثاني : وهو الأصح عند أصحاب الشافعي ، وكذلك نقله الرافعي أنه عند قوله تعالى:﴿ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وهو قول ابن عباس وابن عمر ، وسعيد بن المسيب وقتادة ، وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة ؛ لأن عندها يتم الكلام ، وأحيانا يشيرإلى مكان وجود المسألة الفقهيه دون تفصيل لها كما ذكر في سورة الأحقاف عند مسألة التوضؤ بنبيذ التمر ، بقوله : حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات بأسانيده وأجاب عنها كلها .

كما تعرض لمسألة أصولية مبيناً أقوال العلماء فيها ، عند قوله تعالى:﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[2]اختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار ، وتأولوا قوله:﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ وإليه ذهب أبو حنيفة ، وحكى عن الليث قال: ثوابهم أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم:

(١) سورة فصلت ، الآيتين:(٣٧ ، ٣٨).

(٢) سورة الأحقاف ، الآية:(٣١).

كونوا تراباً مثل البهائم. وعن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن: عـــودوا ترابـــاً فيعودون تراباً ؛ فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت تراباً. وقال الآخرون: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة ؛ كالإنس وهذا هو الصحيح...وهو قول ابن عباس ، وإليـــه ذهب مالك وابن أبي ليلى ، وقال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. وقال أرطأة بن المنذر: سألت ضـــــمرة بن حبيب هل للجـــن ثواب؟ قال: نعم وقـــرأ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾[1] فالإنسيات للإنس ، والجنيات للجن. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض وزخاب ، وليسوا فيها يعني في الجنة.

٧- عنايته بالمواعظ :

كثيراً ما يتعرض الخازن للمواعظ والرقاق ، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب عقب تفسيره لمواضعها ، ومن الأدلة على ذلك: ما ذكر في مقدمة سورة غافر ، من فضائل سور الحواميم..عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال:(إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منـــزلاً ، فمر بأثر غيب فبينما هو يسير فيه ويتعجب ، إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيب الأول فهذا أعجب منه.! وأعجب.! فقيل له: إن مثل غيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن) .

وعن ابن عباس قال:(لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم). وقال ابن مسعود:(إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن) وقال سعد بن إبراهيم:(كل آل حم يسمين العرائس) وفي آخر سورة الدخان ، يروي عن ابي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ (من قرأ حم

---

(١) سورة الرحمن ، الآية (٥٦).

الدخان في ليلة ؛ أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك). وعنه قال: قال رسول اللهﷺ:(من قرأ الدخان ليلة الجمعة غُفر له)[١].

وعند قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] بعد تفسيره للآية ، يذكر أحاديثاً عن الدعاء وفضله ومنها: عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : (الدعاء هو العبادة). ثم قرأ:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللهﷺ:(من لم يسأل الله.؛ يغضب عليه) ثم ذكر أحاديث أخرى سوى ما ذكرت[٣].

وعند قوله تعالى:﴿ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٤] وبعد تفسيره للآية يروى عن سهل بن سعد أنه قال: قال رسول اللهﷺ:" لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء ". وعن المستورد بن شداد _أحد بني فهر_ قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة ؛ فقال رسول الله ﷺ : " أترون هذه السخلة.! هانت على أهلها حين ألقوها ؟" قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله.! قال:" فإن الدنيا عند الله أهون على الله من هذه على أهلها". وعن قتادة بن النعمان: أن رسول الله ﷺ قال:" إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا ، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء ". وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ". وأحياناً يفرد لها

---

(١) راجع الجزء المحقق ص.

(٢) سورة غافر الآية:(٦٠).

(٣) راجع الجزء المحقق ص .

(٤) سورة الزخرف ، الآية:(٣٥).

المؤلف فصولاً ؛ كما ذكر عند قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾[١]. يقول بعد تفسيره للآية: (فصل في ذكر التوبة وحكمها). وبعد ذكره لحكم التوبة وشروطها وأقوال العلماء فيها ، يسرد لنا بعضاً من الأحاديث المتعلقة بالتوبة[٢]. وأيضاً عند قوله تعالى:﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٣]. يقول الخازن في تفسيره لمعاني الآية: فصل: لما وبّخ الله تعالى الكافرون بالتمتع بالطيبات ؛ آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون بعدهم ، اجتناب اللذات في الدنيا ، وجاء ثواب الآخرة. ثم سرد الأحاديث المتعلقة بذلك[٤].

٨- عنايته بالقصص والأحداث التاريخية :

كان الخازن – رحمه الله – يهتم بالسرد التاريخي للأحداث والوقائع في تفسيره ، ومن الأمثلة على ذلك: قصة استماع نفر من الجن لرسول الله ﷺ ،وهو يتلوا القرآن ، التي أوردها عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٥]. قال – رحمه الله – ذكر القصة في ذلك ، قال المفسرون: لما مات أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه ، فلما مات وجد رسول الله ﷺ وحشة من قومه ؛ فخرج إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه. فروى محمد بن إسحاق: عن زيد بن زياد: عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى

(١) سورة الشورى من الآية:(٢٥).
(٢) راجع الجزء المحقق ص.
(٣) سورة الأحقاف الآية:(٢٠).
(٤) راجع الجز المحقق ص.
(٥) سورة الأحقاف، الآية (٢٩).

الطائف ، عمد على نفر من ثقيف ، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمير . وعندهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة..إن كان الله أرسلك . وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك. وقال الثالث : لا أكلمك كلمة أبداً ؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب على الله.! فما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، فقال لهم رسول اللهﷺ: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي ، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه ؛ فيزيد ذلك في تجرئهم عليه ؛ فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، فجعلوا يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع إليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه ، فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم ، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف ،وقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح.. فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك؟ فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال:« اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، فأنت رؤوف وأنت أرحم الراحمين ، وأنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك ». فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس فقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له: يأكل منه . ففعل عداس ذلك ، ثم

أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ وقال له: كُل ، فلما رفع رسول الله ﷺ يده قال: بسم الله..ثم أكل ؛ فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، فقال رسول اللهﷺ: من أي البلاد أنت..؟ يا عداس .! وما دينك.! فقال : أنا نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوي. فقال رسول اللهﷺ: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى .؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى.؟ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه. قال : فقال أحد ابني ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك.! فلما جاءهم عداس. قالا له: ويلك يا عداس.!؟ مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال : يا سيدي مافي الأرض خير من هذا الرجل ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي.! فقال له: ويحك يا عداس.! لا يصرفك عند دينك.! فإن دينك خير من دينه ، ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن ، وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ،ورُموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ، ولّوا إلى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن ؛ فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى :﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ وقد ذكر الخازن أيضاً رواية أخرى في الآية[1]..

ومن ذلك أيضاً: ما ذكر من قصة تُبَّع عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾[2] ويقول في ذلك: وكان من قصته على ما ذكر محمد بن إسحاق وغيره ، وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تُبّع الآخر وهو: أبو كرب أسعد بن مليك ، وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة ،

(١) راجع الجزء المحقق ص.

(٢) سورة الدخان ، الآية:(٣٧).

وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق ، فجعل طريقه على المدينة ،وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابناً له ؛ فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها ،... إلى أخر ما ذكر من قصته[١]..

وقد ذكر أيضاً: قصة رسول الله ﷺ مع قومه عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[٢]فقال: روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبدالله قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد.! فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر..فأتاه فكلمه ثم آتانا ببيان أمره.فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر..وعلمت من ذلك علماً وما يخفى علي إذا كان كذلك..، فأتاه فلما خرج إليه قال: يا محمد.! أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله؟ تشتم آلهتنا.! وتظلل آباءنا .! فإن كان ما بك للرياسة .، عقدنا لك ألويتنا فكنت رأساً ما بقيت .، وإن كان بك الباءة ، زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش ، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك،ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم. فلما فرغ قرأ رسول اللهﷺ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾. إلى قوله تعالى:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ إلى آخر ما ذكر من القصة ، وقد أوردها أيضاً في طريق آخر[٣].

(١) راجع الجزء المحقق ص.

(٢) سورة فصلت الآية:(١٨).

(٣) راجع الجزء المحقق من ص.

٩- منهجه في اللغة والنحو والشعر :

يتعرض الخازن – رحمه الله – في العديد من الآيات إلى بيان النواحي اللغوية ، ويستشهد بالشعر لإيضاح معاني الآيات. ومن أمثلة بيانه للنواحي اللغوية: ما ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[١] **قال: الدبيب في اللغة: المشي الخفيف على الأرض. وعند تفسره لقوله تعالى:** ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾[٢]. **ويقول: والأحقاف جمع حقف وهو: المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً. وقيل الأحقاف: ما استدار من الرمل. وعند قوله تعالى:** ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾[٣] **يقول : أي: كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو عَلَم.**

وأما المسائل النحوية ؛ فإنه يتعرض لها عند الحاجة إليها ، وهو لا يتوسع فيها ومن أمثلة ذلك قوله: عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٤] **نعتان للقرآن. وقوله عن تفسيره قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾[٥] **يعني: القرآن. وفي جواب إنّ وجهان.. أحدهما: أنه محذوف تقديره.. إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. والثاني جوابه:** ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[٦] **ومن أمثلة استشهاده بآبيات من الشعر العربي ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى:** ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

---

(١) سورة الشورى الآية:(٢٩).

(٢) سورة الأحقاف الآية:(٢١).

(٣) سورة الشورى الآية:(٣٢).

(٤) سورة فصلت الآية:(٤).

(٥) سورة فصلت الآية:(٤١).

(٦) سورة فصلت الآية:(٤٤).

ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[١]قال: فالجواب عنه من وجهين ..الأول : معناه لا أطلب منكم إلا هذا وهـذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر (النابغة):

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ..... بهن فلول من قراع الكتائب

وأيضاً عند تفسيره لقوله تعـالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[٢]يقول : أي من الحزن والغيظ. قيل: إن بعض العرب ولد له أنثـى فهجـر بيـت امرأته الذي ولدت فيه الأنثى. فقالت المرأة :

مال أبي حمزة لا يأتـينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينـا ... ليس لنا من أمرنا ما شئنا

وإنما نأخذ ما أعطينـا ... حكمة إله قادر فينـا

١٠- اهتمام الخازن بالاسرائيليات :

لقد أكثر الخازن من سرد القصص والأخبار الإسرائيلية في تفسيره ، ومن الأمثلـة علـى ذلك: ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾[٣]. قيل: كان ابن عم فرعون. وقيل: كان من القبط. وقيل: كان من بني إسرائيل ، فعلى هذا يكون معـنى الآية. وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون ، وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس ، وأكثر العلماء. وقال اسحاق: كان اسمه: جبريل. وقيل: حبيب. وأيضاً ما ذكره عند قوله تعالى:﴿

(١) سورة الشورى الآية:(٢٣).

(٢) سورة الزخرف الآية:(١٧).

(٣) سورة غافر الآية:(٢٨).

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾[١] عن قصة تُبّع المطولة: أنه سار بالجيوش نحو المشرق ، وقصة مروره بالمدينه وإرادته تخريبها ، وزيارته للبيت الحرام .. الخ . وما ذكره في تحديد مكان الأحقاف ، الذي أنذر هود فيه قومه عند قوله تعالى:﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾[٢] قال ابن عباس : الأحقاف واد بين عمان ومهرة ، وقيل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت ، بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع ، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم ، وكانوا من قبيلة إرم. وقيل: إن عاداً كانوا أحياء باليمن ، وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشحر.

والقول أيضاً: في صفة تدمير الريح التي أهلكت قوم عاد عند قوله تعالى:﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[٣] يقول: يعني تهلك كل شيء مرت به ، من رجال عاد وأموالهم ، يقال: أن تلك الريح كانت تحمل الفسطاط ، وتحمل الظعينة حتى تُرى كأنها جرادة ، فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم ، فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم ، وأمر الله الريح فأهالت عليهم الرمال ، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام ، لهم أنين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل، واحتملتهم فرمت بهم في البحر ، وقيل: إن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خطّ على نفسه ومن معه من المؤمنين خطاً ، فكانت الريح تمر بهم لينة طيبة ، والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة ، وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام. وقيل: إن الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ، مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا إظهار كمال القدرة.

---

(١) سورة الدخان الآية:(٣٧).

(٢) سورة الأحقاف الآية:(٢١).

(٣) سورة الأحقاف الآيتين:(٢٤-٢٥).

ولم يتبع الخازن ما ورد هنا من الأخبار الإسرائيلية بشيء سواءً في هـــذه المواضـــع الـــتي ذكرت، أو غيرها التي تخص الجزء الذي قمت بدراسته وتحقيقه... والله أعلم.

المبحث الثاني

قيمة الكتاب العلمية

لقد ذكر الإمام الخازن – رحمه الله – في مقدمة تفسيره: أن هذا التفسير اختصره من كتاب:(معالم التنزيل). للبغوي وضم إليه فوائد نقلها من كتب التفاسير الأخرى ، وذلك سبب اختياره لمعالم التنزيل وتأليفه عليه –كما أسلفنا عند الحديث عن مؤلفاته – ومن خلال دراستنا أيضاً لحياة الخازن ، وجدناه قد نشأ نشأة صالحة تؤهله لهذه المكانة الطيبة ، وتجعله من المفسرين الكبار ، وبهذا نتوصل إلى قيمة الكتاب العلمية وهي :

١. أنه جاء جامعاً لجوانب متعددة واتجاهات مختلفة ، فقد عني مؤلفه بالمأثور مع ما أضافه إليه من أحكام فقهية ، ونواحي لغوية ولم يغفل أيضاً عن المباحث المتعلقة بعلوم القرآن ، وكل هذا يجعل من كتاب:(لباب التأويل في معاني التنزيل) نوراً يستضئ به الكثير من القراء ، والمهتمين بفهم كتاب الله وتفسيره.

٢. يعتبر كتاب (لباب التأويل في معاني التنزيل) من كتب التفاسير المتوسطة ، والتي نقلت الكثير من كتب التفاسير القديمة ؛ التي سبقت في هذا المجال خاصة: المأثور من التفسير ، وزاد على هذه التفاسير أشياء تكمل التفسير ، وتجعله على صورة أكمل فائدة لمريدي الثقافة ومحبي المعرفة.

٣. اعتمد هذا التفسير على أصلين عظيمين وهما : الكتاب ، والسنة ، فنجد المؤلف عند تفسيره لبعض الآيات يورد نظائرها في آيات أخرى ، وهذا يساعد على الربط بين الآيات وفهمها وتوضيحها ، وكذا بالنسبة للسنة ففي أغلب الآيات يذكر المؤلف الأحاديث المتعلقة بالآية ،

وهذا يدل على معرفة الخازن بالسنة الصحيحة ، وعزوها إلى مراجعها الأصلية ، ولا عجب في ذلك.! فقد عرف الخازن بغزارة علمه في الحديث ، وقد ألف في ذلك كتاباً كما أسلفنا عند الحديث عن مؤلفاته.

٤. ومن حسنات هذا التفسير قيام الإمام الخازن – رحمه الله – بتخريج الأحاديث التي نقلها من تفسير:(معالم التنزيل) للبغوي ، وردها إلى أصولها من كتب الصحاح والسنن ، وقد أغنى ذلك عن ذكر الأسانيد التي أطال البغوي في إيرادها ، وهذا أمر حسن وجيد ؛ لأنه يسهل على قارئ التفسير ، خاصة..!وأن ذكر رجال الأسانيد يحتاج إلى جهد كبير ؛ لمعرفتهم ويسبب السأم والضجر ، وحسب القارئ أن يعرف الكتاب الذي خرّج الحديث.

٥. ومن حسناته أيضاً: القيام بالتنبيه على بعض أنواعه الدخيل ، وخاصة ما يتعلق بالطعن في عصمة الأنبياء والملائكة ، فيتعقب الخازن أحياناً ما أورده البغوي من الأخبار الدخيلة ، مبيناً الأسلوب الصحيح ، الذي لابد أن يتبعه كل مسلم تجاه أنبياء الله.

٦. لم يكن الخازن ناقلاً للأقوال ذاكراً للآراء فحسب في تفسيره ، بل كانت له طريقته في اختيار بعض الآراء أحياناً ، كما أنه تجنب ذكر التفصيلات الدقيقة في المسائل التي تتعلق باللغة والنحو والقراءات ، مما جعله سهل الفهم واضحاً لدى سائر القراء.

٧. ومن أهم السمات التي تميز بها تفسير الخازن: حسن الترتيب والتنظيم ، والإيجاز وعقد الفصول للمسائل الفرعية والأمور التي يود التوسع فيها ، سواءً كانت فقهية ، أوعقدية ، أو لغوية بطريقة سهلة ميسرة.

ونخلص من هذا إلى: أن تفسير الإمام الخازن – رحمه الله – يغلب عليه جانب النقل ، غير أن لصاحبه جهداً كبيراً بالإضافة إلى ما نقل ، فقد قام بتخريج ما فيه من أحاديث وشرح ما يصعب

فهمه منها ، وقد ينبه على بعض ما فيه من دخيل أحياناً ، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالناحية الفقهية والعقدية والتاريخية ، وغيرها كما ذكرنا ، غير أن هذا التفسير لا يخلو من بعض الهفوات ، كذكره لكثير من القصص الدخيلة ، والأحاديث الضعيفة ، التي أساءت إليه، وكادت تصد الناس عن الرجوع عليه والتعويل عليه ، وهذا أمر لا يخلو منه كتاب من كتب التفسير ، ونحن إذا نظرنا في هذا الكتاب نجد: أن ما فيه من حسنات يفوق ويرجح على ما فيه من سيئات ، فلا ينبغي أن تمنع هذه الزلات ، وتلك الهفوات الناس عن الاستفادة بما في هذا التفسير ، من جواهر وفوائد عظيمة. ولذا اهتم العلماء بتفسيره ، وكتب في تقييمه المحدثون كالدكتور محمد الذهبي[١]؛ حيث قال : «.... وهكذا نجد هذا التفسير يطرق موضوعات كثيرة نواح من العلم مختلفة ؛ ولكن شهرته القصصية ، وسمعته الإسرائيلية ، أساءت إليه كثيراً ، وكادت تصد الناس عن الرجوع إليه والتعويل عليه ! ولعل الله يهيئ لهذا الكتاب من يعلق عليه بتعليقات توضح غثه من سمينه ، وتستخلص صحيحه من سقيمه ، والكتاب مطبوع في سبعة أجزاء متوسطة الحجم ، وهو متداول بين الناس ، خصوصاً من له شغف بالقصص وولوع بالأخبار »[٢] والدكتور محمد أبو شهبة[٣]بقوله : « ومن حسنات هذا الكتاب : عناية صاحبه بتخريج الأحاديث : أي بيان من رواها من الأئمة في كتابه ، مشيراً إلى صاحب الكتاب بالحرف تارة ، وذاكرا الاسم تارة ،ومالم يكن في الكتب المشهورة ورواه البغوي عزاه إليه ، ومأأخذه البغوي عن الثعلبي بينه . وقد امتلأ هذا التفسير كأصليه : تفسير

(١) هو : الدكتور محمد بن حسين الذهبي ، الحائز على الشهادة العالية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث رحمه الله وغفر له . انظر : التفسير والمفسرون (٣/١)

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي:(٣١٦/١).

(٣) هو : الدكتور محمد بن محمد أبو شهبةَ ، من علماء الأزهر الشريف ، والمتخصص في الأصلين الشريفين : القرآن والسنة ، أُستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وأُم القرى رحمه الله تعالى . انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١١)

البغوي ، وتفسير الثعلبي بالقصص ، والأخبار ، والإسرائيليات الباطلة ، ولاسيما في قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية ، والفتن ، والملاحم ، ومن الحق أن نقول هنا : إن الخازن قد يكر على بعض الإسرائيليات والموضوعات الخ ....» [١]

والدكتور رمزي نعناعة [٢] في كتابه الإسرئيليات وأثرها في كتب التفسير[٣]، وغيرهم من العلماء ، وقالوا ما قاله الأولون في حق هذا التفسير العظيم ؛ لكنهم أخذوا عليه ما أخذوا على سابقه البغوي كما أسلفنا.

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٣٩)

(٢) هو : الدكتور رمزي نعناعة ، حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث من جامعة الأزهر ، مدرس في كلية الشريعة بعمان . انظر : الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (١٠) .

(٣) راجع ص (٣١٣)

المبحث الثالث

المزايا التي تميز بها تفسير الخازن والمآخذ التي تؤخذ عليه من خلال الجزء المحقق

خصائص ومزايا تفسير الخازن :

وهذا المبحث وثيق الصلة بما ذكرناه سابقاً ، عن منهج الخازن في تفسيره ، وعلمنا أيضاً أن: هذا التفسير يحوي العديد من الفوائد والمميزات الكثيرة ، وقد ظهرت هذه المميزات بوضوح أكثر، من خلال تحقيقي لهذا الجزء اليسير من: تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ومن أهمها ما يلي :

١. عنايته الفائقة بالتفسير المأثور وذلك بتفسير القرآن بالقرآن ، أو تفسير القرآن بالسنة ، أو بأقوال الصحابة والتابعين ، وقد ذكرت أمثله على كل منها عند الحديث عن منهجة كما أسلفنا.

٢. اهتم بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها ، وقد وضع الخازن – رحمه الله – علامات وحروف مختصرة للكتب التي خرج فيها تلك الأحاديث وهي: (ق) للمتفق عليه ، (خ) لما في صحيح البخاري ، (م) لما في صحيح مسلم ، وما عدا ذلك من كتب السنن الأخرى فقد ذكرها بأسمائها ، فيقول مثلاً: أخرجه أبو داود ، أخرجه النسائي ، أخرجه الترمذي ، أما الأحاديث التي رواها البغوي بسنده ، ولم تكن في كتب الصحاح والسنن فيقول: الخازن فيها: روى البغوي بسنده عن ..... وأما الأحاديث التي رواها البغوي بدون سند، فيقول فيها : روى البغوي .

٣. قام الخازن بشرح غريب الحديث وبيان معناه بطريقة ميسرة ؛ تفيد في فهم المعنى وحين تكون المفردات صعبة في الحديث ؛ فإنه يتطرق إلى بيان معانيها وتوضيحها ومن الأمثلة على ذلك ما جاء

في الحديث المروي عن عبدالله بن مسعود والمذكور في سورة الشورى بقوله : (ق) . عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(لله أفرح بتوبة عبده المؤمن ، من رجل نزل في أرض دَوِيَّة مَهْلَكَة ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتد الحر والعطش وما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً من توبة العبد المؤمن من هذا براحلته ، وزاده).الأرض الدَوِيَّة : الفَلاة ، والمَفَازَة .

٤. اهتمامه بالآثار الواردة عن السلف الصالح.

٥. تعرضه لعلوم القرآن في تفسيره ؛ كالقراءات وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وبيان الاختلاف بين مكي السور والآيات ومدنيتها.

٦. عقده فصولاً كاملة لبعض الأحاديث المهمة ، التي جاءت في سياق التفسير ، كالفصل الذي ذكره في سورة غافر عن: الدجال ، وفي سورة الشورى عن: التوبة وحكمها.

٧. عنايته بالقصص التاريخية. وقد يعقد فصولاً لذلك ، كما ذكر في قصة استماع نفر من الجن لرسول الله ﷺ ، وهو يقرأ القرآن وقد أشرنا إلى ذلك في منهجه.

٨. عنايته باللغة والنحو والشعر في تفسيره.

٩. عنايته بالأحكام الفقهية. وأحياناً يعقد لها فصلاً كما ذكر في سورة فصلت ، وقد أشرنا إلى ذلك في منهجه.

١٠. عنايته بالمواعظ وقد برزت في مواضع متعددة من تفسيره.

١١. اهتمامه بمسائل العقيدة ، وذكر أقوال المحدثين فيها كالنووي والقاضي وغيرهما .

١٢. حسن الترتيب والتنظيم ، والإيجاز مع سهولة الأسلوب ، ووضوح الألفاظ وهذا مما يساعد القارئ على الرجوع إليه والاستفادة منه.

المآخذ التي تؤخذ على تفسير الخازن :

بالرغم من أنه يعد من كتب التفسير القيمة ؛ لاشتماله على نواحي متعددة، ومميزات كثيرة ، فإنه لا يخلو من بعض المآخذ ومنها :-

١. ذكر القصص والأخبار التي لا تصدق ولا تكذب ؛ لأنها مما سكت عنه الشرع. فليس فيه ما يصدقها ولا يكذبها ولا فائدة فيها تعود إلى أمر الدين ، وغالباً ما يكثر ذلك في قصص الأنبياء والأمم الماضية ، وقد يذكرها الخازن دون أن يعقب عليها بشيء.وقد أشار الدكتور محمد الذهبي إلى ذلك بقوله : «وقد قرأت في هذا التفسير كثيراً فوجدته يتوسع في ذكر القصص الإسرائيلي وكثيراً ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفاسير التي تعنى بهذه الناحية كتفسير الثعلبي وغيره ، وهو في الغالب لا يعقب على ما يذكر من القصص الإسرائيلي ، ولا ينظر إليه بعين الناقد البصير ، وإن كان في بعض المواضيع لا يترك القصة تمر بدون أن يبين لنا ضعفها أو كذبها ، ولكن على ندرة . »[1]

وعقب أيضاً الدكتور محمد أبو شهبة بقوله : « .... كما أنه قد يذكر الكثير من الإسرائيليات المشتملة على العجائب والغرائب ، والتي لا يشهد لها نقل صحيح ، ولا عقل سليم ، ولا يعقب بتضعيف أو إبطال »[2]

---

(١) التفسير والمفسرون (٣١٢/١ – ٣١٣)

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٣٩)

٢. وجود بعض الأحاديث الضعيفة في تفسيره ؛ فبالرغم من: أن الإمام الخازن قد خـــرّج الأحاديث الموجودة في تفسيره ! إلا أنه لم ينبه على الضعف الموجود في بعضها. ومن الأمثلة علـــى ذلك ما ذكره في أول سورة غافر عن فضل سور الحوا ميم عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منـــزلاً ، فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب ؛ إذ هبط على روضات دمثات) فقال: عجبت من الغيـــث الأول ، (فهـــذا أعجب منه وأعجب.! فقيل له :إن مثل غيث الأول) مثل عظم القرآن ، وإن مثل هولاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن .

وعن ابن عباس قال: لكل شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم، وقال ابن مسعود: إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن ، وقال سعد بن إبراهيم : إن آل حم يسمين العرائس .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا..: غزارة علم الخازن ، وسعة إطلاعه على علوم شتى ، حتى ألف هذا الكتاب المسمى:(لباب التأويل في معاني التنـــزيل) وقد بذل فيه الجهد الكثير – غفر الله له– ورحمه رحمة واسعة ، ورحم علماءنا السابقين الذين بذلوا كل جهدهم ، خدمةً لدين الله وحفظاً لكتابه وسنة رسوله ﷺ ... إنه سمع مجيب .

مصورات من المخطوط

الصفحة الثانية من نسخة الحرم الشريف (ح)

الصفحة الثانية من نسخة مكتبة الأزهر الشريف (ر)

الصفحة الأولى من نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (ج)